د. مجدي شاكر كبير الأثريين: الحفاظ على التراث المصري مسؤولية جماعية وتوعية مستمرة.. وهكذا تساهم المجتمعات في حماية آثار مصر (حوار)

في لقاءٍ مع الدكتور مجدي شاكر، كبير الأثريين والمتخصص في مجال التراث المصري، تناولنا أهم التحديات التي تواجهها الآثار المصرية وكيفية الحفاظ عليها، وكذا أهمية الوعي المجتمعي في الحفاظ على هذا الإرث العظيم، كما سلطنا الضوء على الدور الحيوي الذي يمكن أن تلعبه الأجيال الجديدة في صون تاريخ مصر العريق، بالإضافة إلى أهمية التعاون بين المؤسسات الحكومية والمجتمع المحلي في هذا المجال، وإلى نص الحوار:

ما رأي حضرتك في دور المتاحف المصرية مثل المتحف المصري الكبير ومتحف القومي للحضارة في تعزيز السياحة؟

مصر في السنوات الأخيرة شهدت نهضة جيدة جدًا في مجال المتاحف، كان لدينا حوالي 40 أو 41 متحفًا، ولكن للأسف كان معظمها تحت الإنشاء أو مغلقًا بسبب عدم إعادة فتحها مرة أخرى في السنوات القليلة الماضية، ومع ذلك حدثت نهضة أعتبرها كبيرة جدًا، أنا أعمل في هذا المجال منذ أكثر من 30 عامًا.

لماذا أقول ذلك؟ لأن لدينا أماكن لم يكن بها متاحف على الإطلاق، وكانوا يطلقون عليها السياحة الترفيهية، 70% من السياحة التي كانت تأتينا في مصر كانت سياحة شاطئية وترفيهية، كان الناس يعتقدون أنهم يأتون إلى مصر فقط من أجل الآثار، لكن الحقيقة أن 30% فقط كانت آثارًا وأشياء أخرى، بينما 70% كانت سياحة شاطئية.

في السنوات الأخيرة، تم إنشاء متاحفين جديدين، هما متحف شرم الشيخ ومتحف في الغردقة، هذان المتحفين مهمان جدًا وعند إنشائهما كان لهما طابع خاص، تم تصميم أحدهما ليعكس كيف كان الجمال في مصر القديمة، بينما تم تصميم الآخر ليعرض كيفية تعامل المصريين مع البيئة، وبالتالي كانت كل الآثار مرتبطة بالبيئة، ولذلك، تم إنشاء متاحف نوعية أو معروضات ذات طابع خاص، بالإضافة إلى ذلك، تم افتتاح متاحف جديدة مثل متحف تل بسطا وموكب المومياوات الملكية ومتحف سوهاج.

ودائمًا ما أقول إن يوم 31 أكتوبر 2020 كان حدثًا مميزًا، في الساعة حوالي الثانية أو الثانية والنصف، قام سيادة الرئيس عبدالفتاح السيسي بإنجاز معجز، حيث افتتح متحف الغردقة بحضور ولي العهد السعودي، وفي نفس الوقت تم افتتاح متحف في كفر الشيخ، وهو أمر جديد جدًا لأنه للأسف كانت محافظات الوجه البحري مهملة في موضوع المتاحف، وفي نفس اليوم، تم افتتاح متحف الموكب الملكي.

افتتاح ثلاثة متاحف في وقت واحد يعتبر إنجازًا كبيرًا جدًا، عندما تسألني لماذا أقول ذلك، أجيبك بأن المتاحف مكلفة جدًا، فيعتقد الناس أن المتاحف مجرد صوان عرض فقط، لكن الواقع أن بناء المتحف يتطلب مواصفات خاصة، وتكلفة المتاحف قد تصل إلى ملايين الجنيهات، لذلك، أن تفتتح ثلاثة متاحف في يوم واحد هو نقلة مهمة جدًا.

ما تأثير ذلك على السياحة؟

بالطبع، له تأثير كبير، أنا الآن من محافظة بعيدة ولدي متحف سيشجعني على زيارته، ولكن إذا كنت أعيش في الصعيد أو الوجه البحري ولم يكن لديّ متاحف، فلن أذهب إلى هناك، عندما تتوفر المتاحف، سيساهم ذلك في زيادة الوعي القومي للسياحة الداخلية، وفي نفس الوقت سيساهم في تحفيز السياحة في المحافظات.

على سبيل المثال، لدينا في أسوان متحف النوبة، وكان لدينا متحف في جزيرة الفنتين بأسوان، وكان مغلقًا لفترة طويلة، لكنني سعدت جدًا بفتح هذا المتحف مرة أخرى مؤخرًا.

عندما تتوفر متاحف كثيرة، ستشجع السياحة سواء الداخلية أو الخارجية، وستكون هناك نوع من الجذب السياحي، مثلما شاهدت الدعاية الخاصة بالمتحف المصري الكبير، الذي كنا ننتظره منذ 20 عامًا، الجميع كان يسمع عنه، وعندما زاره الناس، كانوا مذهولين، وبالتالي، كل هذا يساهم في الترويج ليس فقط للسياحة في المتاحف، بل للسياحة في مصر بشكل عام.

كيف يتم حماية المواقع الأثرية من التدمير والسرقة؟

للأسف، في مصر لدينا مشكلة كبيرة جدًا، أولاً، هناك العديد من المواقع السياحية والأثرية المنتشرة في جميع أنحاء مصر، ولا تكاد توجد محافظة في مصر إلا وتحتوي على موقع أثري.

على سبيل المثال، من محافظة الشرقية، هناك أكثر من 100 موقع أثري في المحافظة الواحدة، كما أن محافظة الأقصر تحتوي على آثار هامة في كل مكان.

مشكلتنا في مصر هي نقص الوعي، فهناك قلة في الوعي العام، وللأسف، هناك بعض رجال الدين الذين ليس لديهم فهم كافٍ لتاريخهم، سواء في الدين الإسلامي أو المسيحي، وبالتالي، نشهد مشكلة كبيرة في هذا المجال.

هناك من لا يدرك أهمية الآثار، وليس الفقراء فقط من يعانون من نقص الوعي، بل حتى بعض رجال الأعمال والأثرياء، الذين يرون في بيع الآثار وسيلة للربح السريع، معتقدين أن الآثار هي مجرد "رزق" جاءهم.

كما نصل إلى السؤال المعتاد: هل تجارة الآثار حلال أم حرام؟ بالطبع، هي حرام؛ فهي تاريخ بلد بأكمله، لذلك نحن نواجه مشكلة في صيانة المواقع الأثرية، دائمًا ما أقول إنه ليس من واجب الحارس أو الأمن أو شرطة السياحة وحدهم حماية الآثار، نحن جميعًا، سواء كنت أنت أو أنا، يجب أن نتحمل المسؤولية، ويجب أن يكون لدى الناس وعي منذ اللحظة التي يولدون فيها.

بالطبع، لدينا حراس في كل موقع أثري، وهناك شرطة سياحة، وأمن عام متخصص في هذا الموضوع، ولكن أؤكد أن كل هذه الإجراءات ليست كافية لحماية الآثار، وبالتالي، يجب أن يكون لدينا فهم أن تجارة الآثار حرام.

كيف يمكن زيادة الوعي بالثقافة الأثرية؟

أعتبر أن سنة 2020 كانت سنة مهمة جدًا في هذا المجال، خصوصًا يوم "موكب المومياوات الملكية"، الذي كان حدثًا بارزًا، بدأ الناس يتحدثون عن الملك سقنر رع، وعن أيا حتب، وبدأوا يسمعون عن حتشبسوت، وكان ذلك أمرًا جيدًا جدًا، لأن الناس بدأوا يكتشفون تاريخهم ويتعرفون على الملكة تي، حتى أن الفتيات أعجبن بشعرها، وقالوا: "كيف يكون هذا شعرها وهي في سن أكثر من 60 عامًا؟" فكل شخص أعجب بما سمع، حتى الأشخاص الذين ليس لديهم اهتمام بالآثار.

لكن ما المطلوب الآن؟ يجب أن تكون هناك برامج إعلامية تساهم في نشر الوعي الثقافي والتاريخي، وتتكلم بشكل موسع عن هذه المواضيع، ولكن عندما أجد أننا في رمضان، ولا أستطيع معرفة متى سيتم مناقشة مشروعك، وأرى بعض المسلسلات التي تركز على تجارة الآثار وتعرضها بشكل عادي، فإن هذا أمر محبط.

في أحد المسلسلات، عرضوا الملك سقنن رع وهو داخل جهاز إشاعة، وإذا كان الممثل يعرف من هو سقنن رع، لما كان سيكون موجودًا في المسلسل، لأن سقنن رع هو الذي طرد الهكسوس.

بجانب هذا، هناك مسلسل آخر يروج لأسطورة الجن والعفاريت في المعابد، واستمر لأكثر من خمس أو ست أجزاء، للأسف، مثل هذه الدراما تساهم في ترسيخ بعض المفاهيم الخاطئة في ذهن الإنسان المصري.

لذلك أقول أولًا يجب إصلاح الدراما على الأقل، يجب أن يكون الخط التاريخي صحيحًا، كما يجب أن تكون برامج التعليم أكثر وعيًا، وألا يكون التاريخ مجرد سرد للأسباب والنتائج والتواريخ التي تجعل الطلاب يكرهون التاريخ وينسون المعلومات، يجب أن تدرس لهم تاريخ الأشخاص العاديين، بدلاً من التركيز على تاريخ الملوك، يجب أن تركز على تاريخ الفلاح المصري، بعيدًا قليلًا عن تاريخ الملوك.

كيف تساهم التكنولوجيا الحديثة في اكتشاف ودراسة الآثار؟

التكنولوجيا الحديثة تساهم في كل شيء الآن، لدينا الأقمار الصناعية، ومن خلال القمر الصناعي يمكنني تحديد مكان الموقع الأثري، ويمكنني أيضًا تحديد طبيعة الأشياء الموجودة.

بالطبع، لا يمكنه قراءة النقوش بشكل دقيق، لكنه يمكنه تحديد ما إذا كان هناك فراغات في المعادن، ومن خلال تقنية استشعار الصور بالأقمار الصناعية، أصبح بإمكاننا إجراء صيانة للمومياوات قبل استخراجها.

الآن، من خلال الأقمار الصناعية، يمكنني تصوير كل جزء من الجسم قبل إخراجه، وهذا يسمح لي برؤية ما بداخله، وبالتالي، أصبح الذكاء الاصطناعي جزءًا من الاكتشافات الأثرية، وكذلك من عملية الصيانة والترميم والتكنولوجيا الحديثة.

أصبح لدينا أنظمة للتحكم في الترميم، ومنذ 20 عامًا حدث تغير كبير سواء في الاكتشافات الأثرية أو في الترميم أو الصيانة، أو حتى في عرض المعروضات.

على سبيل المثال، عندما تزور المتحف المصري الكبير الآن، سترى أن النقوش تتحرك، بعض النقوش تمثل مشاهد من الصيد، وهذا بالطبع منظر مذهل، لأن الصورة المتحركة، كما تعلمون، تجذب الانتباه بشكل أكبر، خاصة عندما يكون الجمهور من الفئة العمرية بين 7 و13 عامًا، وربما شاهدت حلقة "مستر بيست" التي حققت أكثر من 150 مليون مشاهدة في 10 دقائق فقط داخل الأهرامات، حيث حقق 4 مليون مشاهدة، وهذا يعود إلى أن الصورة المتحركة أكثر جذبًا.

إذن، التكنولوجيا الحديثة والذكاء الاصطناعي دخلوا في كل شيء، إذ أعتبر أن الذكاء الاصطناعي هو إنجاز مهم، وفي السنوات القادمة سيكون الموضوع أكثر إثارة.

كيف يتم تصنيف القطع الأثرية عند العثور عليها؟

إذا كانت القطعة تحتوي على كتابة، فالأمر يصبح أسهل، لدينا ما يُسمى "الخراطيش"، وهي التي يُكتب فيها أسماء الملوك، ومن خلال خرطوش الملك، يمكنني تحديد إلى أي فترة أو عصر تنتمي القطعة، لكن هناك أيضًا ما يُسمى "الملامح الفنية"، حيث أن كل عصر في الدولة المصرية القديمة له ملامحه الفنية الخاصة.

على سبيل المثال، فن الدولة القديمة يختلف عن فن الدولة الوسطى أو الحديثة.

فن أخناتون، على سبيل المثال، يُعتبر متخلفًا من الناحية الفنية لأنه يعتمد على الأسلوب الواقعي، بينما فن الدولة الحديثة يختلف تمامًا، لذلك، كل مرحلة زمنية في التاريخ المصري لها ملامح فنية مميزة، وبالتالي، من خلال النقوش والكتابات والنصوص، يمكنني تحديد تقريبًا إذا كانت القطعة تنتمي إلى الدولة القديمة أو الوسطى أو الحديثة، بعد ذلك، يمكنني تحديد أي أسرة من الأسر التي تنتمي إليها القطعة.

ما رأي حضرتك في تبادل القطع الأثرية بين المتاحف كنوع من تعزيز الوعي الثقافي؟

للأسف، نحن لا نستقبل قطعًا أثرية من الخارج، بل نحن من نعرض قطعنا في المعارض الخارجية.

على سبيل المثال، كان يتم افتتاح متحف جديد في اليابان بعنوان "رمسيس الثاني وذهب الفراعنة".

في السبعينات، تبنت مصر سياسة المعارض الخارجية، حيث كانت تُرسل بعض القطع الأثرية لتُعرض في المعارض الدولية، وذلك لتحقيق عدة أهداف، مثل تأمين القطع الأثرية، والتأكد من حمايتها، بالإضافة إلى الترويج السياحي لمصر.

لكن للأسف، ليس لدينا فكرة عن استقدام قطع أثرية من الخارج. على سبيل المثال، عندما طلبنا استعارَة رأس نفرتيتي، حاول الدكتور زاهي حواس أن يحصل عليها لمدة ثلاثة أشهر، لكن مدير المتحف رفض، لذلك، نأمل أن يكون هناك في المتحف المصري الكبير قاعة خاصة بالعرض المتغير، وأن يتم تبادل القطع الأثرية، بحيث نستطيع جلب بعض القطع من الخارج أو من الدول التي تشترك في الحضارة المصرية.

هل فعلاً كان الدكتور زاهي حواس قد أعد وثيقة أو عريضة لنوقع عليها لاسترجاع قطع من الخارج؟

مع كل الاحترام للدكتور زاهي، الآثار لا تُرجع حتى لو وقع 128 مليون شخص في مصر الآن، والله لن يحدث شيء.. لماذا؟ لأن المتاحف هناك مستقلة، ولها مجلس أمناء، حتى لو وقعنا على عريضة، فلن يتم استرجاع مثلًا حجر رشيد من المتحف البريطاني أو رأس نفرتيتي من متحف برلين، معظم القطع الأثرية في المتاحف الخارجية تم أخذها بطريقة رسمية قبل إصدار قانون الآثار، حتى لو وقعنا على مليون عريضة، من الصعب جدًا استرجاع أي قطعة من الخارج، لأن الأمر مرتبط بحق الملكية الفكرية.

لماذا ما زالت الآثار المصرية تحظى بالاهتمام العالمي على مر العصور؟

هناك عدة أسباب، أولًا، كما تعلمون، العلاقة بين مصر وأديان اليهودية والمسيحية، قصّة الخروج وكل ما يتعلق بها جعل الآثار المصرية في بؤرة الاهتمام، حتى ظهر الآن ما يسمى "علم الآثار التوراتي" أو "علم الآثار التمويلي".

لدينا في مصر علم الجيولوجيا، لكنهم أنشأوا علمًا مضادًا لنا يُسمى "الآثار التمويلي"، ويهدفون من خلاله إلى إثبات أنهم كانوا موجودين في هذه الأرض ولهم تاريخ وحضارة.

ثانيًا، بعد انتصار الحضارة المصرية واعتناق المسيحية، بدأ البعض يقول إن الدين المصري القديم كان دينًا وثنيًا، ومن ثم تم غلق كل المعابد المصرية القديمة وتدميرها من القرن الرابع الميلادي حتى القرن التاسع عشر، حتى أننا لم نكن نعرف شيئًا عن ما كان موجودًا، وظهر ما يُسمى "التاريخ الخرافي"، حيث بدأ البعض يروج لفكرة أن هذه الآثار والمعابد هي من صنع الجن والشياطين، وبالتالي، كان هناك جهل بما كان موجودًا.

رغم هذا، كان هناك اهتمام متزايد بالحضارة المصرية من خلال الدين والعلم والتاريخ الخرافي، مما خلق هالة كبيرة حول حضارتنا، وهذا أدى إلى ما يُسمى "الافترسنتركية"، حيث بدأت بعض الأطراف، من خلال نظرائهم في الغرب، يحاولون نزع صفة الحضارة عن مصر، أملنا في الدولة أن تولي اهتمامًا أكبر لهذا الموضوع.

هل هناك أماكن أثرية حضرتك ترى أنها لا تحظى بالاهتمام الكافي؟

نعم، هناك العديد من الأماكن، سأعرض لك مثالًا أمام بيتي، مثل "سونسيرت الأول"، هذه المثلة تعتبر من أندر التماثيل في العالم، وهي الوحيدة التي مكانها ثابت، ولا يوجد مثلها في القاهرة.

كانت هناك تماثيل في جزيرة نيلية ثم انتقلت، والمكان الذي خلفها كان معبدًا تابعًا لمدينة هول، هذه المدينة هي التي علمت أفلاطون وسقراط، وهي أيضًا التي علمت سيدنا موسى وسيدنا يوسف، وإذا مشيت لمسافة كيلو واحد فقط، ستجد مزار العائلة المقدسة مع شجرة الجميز، وغيرها من الآثار.

هل هناك من يزور هذه الأماكن؟

للأسف، قليل جدًا، فكل مناطق مصر تحتوي على أماكن أثرية لا تحظى بالاهتمام الكافي، على سبيل المثال، محافظة الشرقية بها أربع عواصم لمصر القديمة، كانت عاصمة واحدة، ومنها عاصمة الهكسوس، وتل بسطا، وقنتير، هناك الكثير من الآثار التي لا يعرفها الناس.

للأسف، كل مصر مليئة بالتاريخ والآثار، لكننا نفتقر إلى الوعي الكافي، أتمنى من المحافظين أن يتعلموا تاريخ المحافظة التي سيحكمونها قبل تعيينهم، كيف يمكن للمرء أن يدير محافظة وهو لا يعرف تاريخها؟ لدينا مشكلة كبيرة في النظام التعليمي، حيث يدرس طالب الثانوية، سواء في القسم العلمي أو الأدبي، التاريخ فقط خلال دراسته، ثم يتوقف عن الاهتمام به تمامًا بعد ذلك.

المهندس، مثلًا، إذا درس تاريخ الهندسة في مصر القديمة، والطبيب إذا درس تاريخ الطب، يجب أن يكون الإنسان دائمًا مرتبطًا بتاريخه وحضارته، لكن للأسف، نحن نفتقر إلى هذا الوعي.

ما التحديات التي تواجه السياحة الأثرية في مصر؟

البشر.. دائمًا أقول إن الإنسان هو العامل الأساسي لنجاح السياحة، مشكلتنا في مصر تكمن في الإنسان نفسه، إذا استطاع الإنسان في مصر أن يعامل السياح بشكل جيد، فإن السياحة ستزدهر، مصر تحتوي على ميزة لا توجد في العديد من دول العالم، وهي أننا نحب الحديث والمزاح، ولكن لدينا مشكلة في التعامل مع المجتمعات الأخرى.

في بعض الدول الأخرى، لا يكون هذا النوع من التواصل موجودًا، لذلك يجب على الإنسان أن يقدم خدمة جيدة للسياح، فمن الضروري في مصر أن نقتنع بأن السياح ليسوا "زبائن" فقط، بل هم ضيوف، للأسف، لدينا نقص في ثقافة التعامل مع السياح، وأتمنى أن تتضمن برامج التعليم دروسًا عن أخلاقيات السياحة.

كيف يمكن للمجتمع المحلي المساعدة في حماية المواقع الأثرية القريبة منهم؟

عندما حدثت ثورة يناير، تعرضت جميع الأماكن الأثرية للاعتداء، تم سرقة مخازن كاملة من الآثار، المحافظة الوحيدة التي لم تُسرق فيها الآثار هي الأقصر.. من الذي حماها؟ لم تكن هناك شرطة أو جيش، بل كان الناس هم من حموها، لماذا؟.. لأن هذه الآثار هي مصدر رزقهم.

الآن، عندما يتم تطوير منطقة أثرية، يشارك المجتمع المحلي في هذا التطوير، وهذه فكرة رائعة جدًا، نجاح أي مشروع يعتمد على الناس الذين يعيشون فيه.

ما أكثر قطعة أثرية أثارت إعجاب حضرتك؟

لن أقول لك كلها "ولادي"، ولكن بالطبع، قد عملت على العديد من الآثار وقمت بالحفر في العديد من المواقع.

الحمد لله، كان لدي ميزة لا يمتلكها معظم الأثريين الذين يعرفهم الناس، حيث كنت أعمل في المتاحف وفي الحفائر، هناك من يعمل في التوثيق، لكنني كنت محظوظًا بأنني عملت في كل هذه المجالات.

تعاونت مع معظم البعثات الأجنبية، كل قطعة أثرية بالنسبة لي لها قيمة، قيمة الأثر لا تُقاس بحجمه، بل بالمعلومة التي يقدمها لي، لذلك، كل الآثار بالنسبة لي ذات قيمة.

هل هناك معايير دولية لحماية الآثار المهربة؟

نعم، هناك قوانين بالطبع.. الآن، يوجد إدارة خاصة بالآثار المستردة، وقد أسسها دكتور زاهي حواس منذ عام 2002، في هذه الوزارة، هناك مجموعة من الشباب الذين يعملون طوال الوقت على متابعة ما يُعرض في الأسواق، لأن هناك دولًا أخرى تقوم ببيع الآثار، وأشهر هذه الأماكن هي لندن.

ولا يُعرض أي أثر في مزاد إلا إذا كان هناك مستند قانوني يثبت ملكيته، نحن نستغل هذه النقطة، فإذا خرجت قطعة أثرية بطريقة غير قانونية، يمكننا استردادها.

ما هي معايير اختيار القطع الأثرية التي تُعرض في المتاحف؟

هناك معايير واضحة، يوجد ما يُسمى "آثار العرض المتحفي"، ليس كل الآثار التي تُستخرج من باطن الأرض صالحة للعرض في المتاحف، قد تكون بعض القطع غير جذابة أو تحتوي على نقوش لا تُثير الاهتمام، لذلك، يجب أن أضع في اعتباري أن 90% من زوار المتاحف ليسوا متخصصين، وبالتالي يجب أن تكون القطعة جذابة.

ولكن الجذب لا يتعلق بالقطعة فقط، بل أيضًا بالإضاءة وطريقة العرض والشكل العام للمتحف، ربما لا يعرف الكثيرون أن 80% من الآثار التي تُستخرج من باطن الأرض لا تكون صالحة للعرض، ومعظمها يتم تخزينه في المخازن.

ما النصيحة التي يمكن أن تقدمها للحفاظ على تاريخ مصر وآثارها؟

النصيحة التي أود تقديمها لكم هي أن الحفاظ على تاريخ مصر وآثارها يتطلب جهودًا مستمرة ووعيًا دائمًا، مشروعكم وحواركم اليوم هو جزء من هذه الجهود، ومن خلال نشر المجلة أو أي محتوى آخر عبر الإنترنت، يمكنكم زيادة الوعي بين أصدقائكم وأفراد عائلتكم وكل من يتابعكم على منصات التواصل الاجتماعي.

لكن الأهم من ذلك هو الاستمرار في العمل بشكل جماعي، لا يكفي أن ننتهي من مشروع واحد، بل يجب أن نقوم بتطويره، مثلًا من خلال إنشاء جمعية أو منصة مخصصة لهذا الغرض.

يمكن تنظيم زيارات منتظمة للأماكن الأثرية المختلفة، سواء كانت فرعونية أو تاريخية، مثل شارع المعز أو مجمع الأديان، وهذه الزيارات يمكن أن تكون فرصة لتعميق الوعي الثقافي والتاريخي.. الاستمرارية هي المفتاح؛ فالتواصل المستمر مع التراث المصري والحفاظ عليه يجب أن يكون جزءًا من حياتنا اليومية، وليس مجرد مرحلة مؤقتة.



****

# 

****

****

